

د. ميسون حنا

نصوص
أدبية

بكائيات غزّة

د. ميسون حنا

بكاتيات غزة

نصوص أدبية

2024

التصنيف

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2024\8\4507)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب	
عنوان الكتاب	بكاتيات غزة
تأليف	حنا، ميسون سلجان جريس
بيانات النشر	عمان: ميسون سلجان جريس حنا، 2024
الوصف المادي	42 صفحة. بقياسات ما قبل التنسيق الطباعي
الطبعة	الطبعة الأولى
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.	

(ردمك) 978-9923-1264-2 ISBN

■ الإعداد الطباعي والتنسيق: مُجَّد فتحي المقداد

تقديم

الروائي. محمد فتحي المقداد. سوريا

عربوابة التاريخ:

لا شيء يصمد أمام مهابة الموت وجبروته، وفي الحروب تختلط الأوراق وتختلف الحسابات على جميع الأوجه، وإرادة الغالب يكتب مصائر المغلوبين، ويفرض شروطه.

وفلسطين أمُّ القضايا العالميّة بلا مُنازع في العصر الحديث، ومنذ فجر التاريخ كانت مسرحًا لصراع الأمم والشّعوب، يتنازعون عليها، فهي مهبط الرّسالات وأرض الرّسل والأنبياء، ومهد الديانات السّماويّة التي عاشت زمانًا طويلًا بوئام وأمان، بضمانة العُهد العُمريّة، فكانت دُستورًا مُحترّمًا مُصانئًا من قبل أتباع الدّيانات.

وما الحروب الصّليبيّة إلّا استعمارًا مُبكرًا للشّرق تحت راية الصّليب، واسم المسيح عليه السّلام، وامتدّت الأحلام الاستعماريّة لتأتي مرحلة (سايكس بيكو) بتقسيم استعماريّ جديد، وتكلّل بالوعد المشؤوم (وعد بلفور 1917) للحركة الصّهيونيّة، بإقامة وطنٍ قوميٍّ لليهود في فلسطين، وإعطاء ما لا يملكون إلى من لا يملكون، وعملت الدّعاية الصّهيونيّة وبتشجيع من بريطانيا وفرنسا على الهجرة اليهوديّة من جميع بلدان العالم.

وفي العام 1948 أعلن قرار قيام دولة إسرائيل، وبعد الحرب الخاسرة التي خاضتها الجيوش العربية (النكبة)، وإقرار الهدنة، ثمّ تمخّضت الأمور والمُحادثات العلنيّة والسريّة عن (قرار 181)، وتقسيم فلسطين إلى دولتين عربيّة ومهوديّة. إلى جاء عام الحسم لإسرائيل 1967 الذي تكلّل بهزيمة ثانية للعرب بإحتلال الضفّة الغربيّة، وشبه جزيرة سيناء المصريّة، وهضبة الجولان السُوريّة.

أُوْبُشْتَكِي بِالْدَمْعَةِ الْخَرْسَاءِ!!

وفي مقولة عميقة الدلالات، وما يُبرّر الذّهاب لمنحى البُكائيات: (وانهمرت أسئلة الموتى والأحياء عليّ؛ سألوا عن معنى الحرية والحق، عن معنى العزة والصدق. نادى الجرح على السكين، فصحت: آه يا وطني! ولزمت الصمت)*¹.

ومنذ زمان "قفا نبك" حينما طالب "الملك الظليل" لقب الشّاعر "امرؤ القيس" على إعتبار أننا ما زلنا نقرأ مُعلّقته الشّهيرة ذات الافتتاحيّة الفريدة:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

لتجيب ندائه "فدوى طوقان": (على أبواب يافا يا أحبائي// وفي فوضى حُطام الدّوّز// بين الردم والشوك// وقفْتُ وقلْتُ للعينين: يا عينين قفا نبك).

¹ من كتاب (ست دمعات على نفس عربية) عبدالغفار مكاوي.

ولم تتوقف الخنساء عن بُكائها المديد، وما زال صداه يُحرّض عينيها لذرْف
المزيد من الدّموع:

أَعْيَيْ جودا وَلَا تَجْمُدا أَلَا تَبْكِيانِ لِصَخْرِ النَّدَى

وبعد هذا التّطواف والتّأرّجُح الأدبّي بين القديم والحديث. لا بُدَّ من وقفة
تأمليّة مع عنوان جديد لكتاب "بُكائيات غزة" للدكتورة الأدبية "ميسون
حنا" وقد وُلد من وحي الحَدَث الجَلَل ومُواكِبا لمعركة "طوفان الأقصى".

التي إنطلقت مع أوّل ساعات الصّبّاح من يوم السّبت (7 تشرين الأوّل/أكتوبر
2023 م) الموافق لـ (22 ربيع الأوّل 1445هـ)، ضمن سلسلة الصّراع العربيّ
الإسرائيليّ الطّويلة، ولم تتوقّف يوماً المقاومة الفلسطينيّة في الدّفاع عن
المقدّسات ضدّ الإنتهابات الصّارخة والفظيعة للأرض والعرض والديّن.

إذ أعلنت جميع كتائب المقاومة الفلسطينيّة في قطاع غزّة بدء العمليّة؛ ردًّا
على الإنتهابات الإسرائيليّة في باحات المَسْجِدِ الأقصى المُبارك، واعتداء
المُستوطنين الإسرائيليّين على المُواطنين الفلسطينيّين في القُدس والضفّة
الغربيّة والدّاخِل العربيّ المُحتل.

ولمّ هذه البُكائيات في هذا التوقيت الحرج؟

وتُجيب "ميسون حنا": (عندما بدأت في كتابة كتابي هذا الموسوم بكائيات
غزة، وقبل أن أنجزه وجب الاعتذار إلى أهل غزة والمنكوبين في العالم، لأننا
مهما حاولنا أن نصل إلى عمق المأساة، ندرك أن هذا مستحيل، نحن
نلامسها فقط، وما بدأت بكتابته، وأكتبه يعكس نقطة في بحر ما يعانون).

وربَّ من قائل يقول: (لَمْ الْبُكَائِيَّاتُ فِي وَقْتٍ يَدْعُونَا كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ لِإِطْلَاقِ الصَّرَخَاتِ؟ إِنَّ كُلَّ مَنْ يَفْكَرُ الْيَوْمَ، أَوْ يَكْتُبُ لَا بَدَأَ أَنْ يَصِيبَهُ الْيَأْسُ، وَهُوَ يَنْظُرُ فِي الْهَآوِيَةِ الَّتِي تَفْصِلُ الْكَلِمَةَ عَنِ الْفِعْلِ، وَلَا بَدَأَ أَنْ يَتَحَسَّرَ عَلَى ضِيَاعِ عَمْرِهِ فِي تَجْمِيعِ حُرُوفٍ فِي كَلِمَاتٍ، وَكَلِمَاتٍ فِي جَمَلٍ، وَجَمَلٍ فِي صَفْحَاتٍ وَصَفْحَاتٍ لَمْ تَطْعَمْ جَائِعًا، وَلَمْ تَحْرِكْ سَاكِنًا، وَلَمْ تَنْبِهْ وَعِيًّا، وَلَمْ تَنْقُلْ حَجْرًا مِنْ مَكَانِهِ)².

وكأني بلسان أما الفارس المقدم "مالك بن الريب" يجيب عن "ميسون حنا" وعنا جميعا؛ فلم ينتظر لمن يأتي ليرثيه بعد موته، وفي سابقة في هذا المضمار؛ فقد رثى نفسه بنفسه بخياله الواسع:

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ	سَوَى السَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرَّدِّيِّ بَاكِياً
وَبِالرَّمْلِ مِمَّا نَسَوَتْهُ لَوْ شِئْتَنِي	بَكِيْنَ وَفَدَيْنَ الطَّبِيْبَ الْمُدَاوِيَا
فَمِنْهُنَّ أُمِّي وَإِبْنَتَايَ وَخَالَتِي	وَبَاكِئَةً أُخْرَى تُهَيِّئُ الْجُبُوَاكِيا

وفي تتبُّع بسيط للنصوص المؤثثة لكتاب "بكائيَّات غزة"، لوحظ أنَّها مُتساوِقة بماذَّتها التي جاءت على شكل منثور أدبيّ، لها طرائق وخواصّ الخاطرة والمقالة والقصن.

كما أن عناوينها خير تعبير لتكون شاهدة على الخراب والدِّمار والهمجيَّة والمجازر الدمويَّة، التي سلكها الكيان بما يفوق الوصف والخيال، فقد سلكوا سياسة الأرض المحروقة، بمباركة عالميَّة من القوى العالميَّة التي كانت تدَّعي

² المرجع السابق

الحرّيات وصيانة حقوق الإنسان، توافدت قوى الشرّ والظلام من أنحاء العالم إلى بحر غزة، لتزيد الحصار حصارًا.

وهذه البُكائيات التي نحن بصدها خصّصتها الكاتبة "ميسون حنا" لغزّة تحديدًا، وهي إنّما فعلت ذلك لتكون شاهدة توثيق وتاريخ على مرحلة ظلاميّة مُظلمة، كشاهد "محمد فتحي المقداد" على العتمة. في كتابه "شاهد على العتمة". الأجيال القادمة يجب أن يكون بين أيديها سرديّتنا المُخالفة لسردية الكذب والدّجل والتضليل العالميّ.

ختامًا:

البُكاء ووسيلتها الضروريّة هي الدُموع، إنّما ذلك سمة إنسانيّة لازمت البشريّة منذ بدء الخليقة، ومع أبناء أبينا آدم عليه السّلام – هابيل وقابيل- وبذرة الدّم الأولى في التاريخ، ولم تتوقّف شلالاته نذيرة الأحزان والدُموع، ونشوء أدب البُكائيات عند كافّة الشّعوب بلا استثناء.

وهناك فرق واضح بين البُكاء والتّبكي، والتّبكي هو صنو الكذب والتظاهر بدموع لا تعدو أن تكون كدموع التّماسيح، كمن يتباكي على دكتاتور وجلّاد، والمختلف تمامًا بمنهجه عن البكاء على ضياع وطن كفلسطين. ستبقى بُكائيات "ميسون حنا" شهادات نابضات بالحياة مُتابعاتٍ لحقّ لا يموت.

2024 \8 \8 ل

**نصوص أدبية تعكس واقع الحال في
غزة أثناء ملحمة طوفان الأقصى**

**ماذا أقول وفي الكلام
تسويق، وكيف
أصمت والصمت
تخاريف، وما بينهما
تقف الحقيقة عارية
من كل زيف.**

تنويه

عندما بدأت في كتابة كتابي هذا الموسوم بكائيات غزة، وقبل أن أنجزه وجب الاعتذار إلى أهل غزة والمنكوبين في العالم، لأننا مهما حاولنا أن نصل إلى عمق المأساة، ندرك أن هذا مستحيل، نحن نلامسها فقط، وما بدأت بكتابته، وأكتبه يعكس نقطة في بحر ما يعانون، نحن نعيش الجراح على شاشات التلفزة، ونبكي بحرقة مع أننا نشاهد فقط مقتطفات وصوراً مبتورة، ولقطات متفرقة لأصل متخم بالجراح والألم، لواقع حي، أقول حيا وهو يعج بأشلاء مئات الشهداء، لكنه حي في ذاكرتنا وقلوبنا، يُهياً لنا ونحن نشاهد ما يجري إننا نعيش في قلب المعركة معهم، ولكن معاناتهم أضعاف، أضعاف ما نشعر به مع محاولاتنا المستميتة لنصل إليهم، لنعبّر بصدق، وإن هي إلا محاولات دونها الصمت والخذلان. أنا الآن أرفع صوتي ما دمت لا أملك سوطاً. وكما

هو معلوم للجميع إن الكلمة سلاح، قيل هي سلاح العاجز
الأعزل، ولكنني على يقين إنها عتاد الواعي الذي يسعى للتوثيق،
ولرسم صورة قد تتآكل بفعل الزمن، ولكننا عندما نسلط
الضوء عليها نحيتها، وهذا قد يفيد للأجيال القادمة عندما
تنتهي هذه الحرب، وتنسخ من الذاكرة تفاصيل صغيرة من
وعينا، مع أننا ندرك ضخامتها وأهميتها، أهل غزة لا ينسونها،
هم يحتفظون بها وبالكثير غيرها التي لم نوثقها، لأننا أغفلناها،
ولكننا ببساطة لم نعشها على أرض الواقع، لم نخبرها، والخيال قد
يخفق في هذه الأحوال، هو يساعدنا فقط، يستحضر لنا صورا
وحكايات، ولكنه يعكس ما نتخيله في وعينا وإدراكنا، أما
الحقيقة الخافية علينا يقف أمامها عاجزا كعجزنا، أما أهلنا في
غزة يعرفون كل شيء، حُفرت في أعماقهم المآسي. أعتذر بشدة
لهم، وأختتم كلمتي بدعاء النصر ليكون فاتحة الأمل لغد أفضل.

عطش

ذهبت وبيدي سطل فارغ، أملاً في الحصول على قليل من الماء،
حصلت عليه بصعوبة، عدت أسابق خطواتي، تركت أبنائي
يمزقهم العطش وصلت أخيراً ... لكن لا وجود لمنزلي
كان منزلاً والآن أراه حطاماً... نظرت إلى أشلاء أبنائي
بذهول... بكيت ، صرخت، لطمت، أخيراً أيقنت أن لا راد
لقضاء الله، فقط أتحسر على موتهم عطاشي ... جمعت بعض
أشلائهم التي وجدتها ... وسكبت الماء فوقهم لعلهم يرتوون.



وحيدة

انهار المنزل ... كنت وحيدة بين الركاب، أُمي شهيدة، لو كانت
على قيد الحياة لما تركتني هكذا، لكن أين أنت يا أبي؟ كنت
تجلس قربي ، لعلك فررت، كيف هنت عليك وتركتني؟ لا
أصدق أنك سعت لنجاتك دوني ... صمت مطبق، تلفت
حولي، يا للهول أنت مستلق قربي ... آه لا أستطيع أن أزحف
لأوافيك ، أخبرني : هل أنت على قيد الحياة؟!

صمت

ماما ... أنا خائفة، ما بك لا تردين؟ أقول لك خائفة، كنت
تضميني فأهدأ، الآن أنت ترقلين بصمت ... صمتك يخيفني
أكثر، لعلك ... لا ... لا أستطيع أن أتخيل هذا، ضميني كي
أتحقق من نجاتك ... ماما ...



دموع

دمعة انحدرت على خد الصغيرة، لم يكن بكاؤها حسرة على
قطعة حلوى سقطت من يدها وتفتت. إنها تبكي، والدمعة
تسحب دمعات، وشهقات تتخللها لتجتث سيل دموع تنسكب
على وجنتيها بغزارة. تنظر إلى جثة أمها المسجاة، مضرجة
بدمائها ... لم تكن تدري أن الإنسان ينتهي بالموت، لكنها الآن
للمرة الأولى تشهد هذا اللغز، وتقف أمامه عاجزة عن استيعابه
... تبكي وحيدة ... وحيدة ...



إفطار غزي

رمضان كريم، خبز يابس مرشوش بالماء ليسهل تناوله، ينظرون
إليه بشوق في انتظار موعد الإفطار، أخيرا صدح صوت شاب
تبرع بإطلاق الأذان ... الصغير جائع، برغم كل شيء مد يده
نحو الطعام، تزامن ذلك مع انفجار مفاجئ قريب، شظية
تسللت إليه وأصابته، سال دمه ليختلط بالخبز ... وخمدت
الحركة ...



براءة

قذيفة مزقت أباه أشلاء، أما هو بُترَ طرفيه السفليين إثر
إصابتها... استفاق من غيبوبته، أراد النهوض، نظر إلى مكان
الضهاد بذهول، ابتسم الطبيب ليسهل عليه تقبل الأمر...
تساءل: متى ستنبت قدمي يا عمو؟!

أذان

موعد الصلاة، الأذان يُرفع بلا مآذن... المساجد قُصفت.

وداع

عائق والدته، طبع قبلة حارة على جبينها اذهب يا ولدي في
رعاية الرحمن ... لم يسافر ... ببساطة ذهب لإحضار طعام
لأسرته ، ومن يدري ، قد لا يعود ...

كابوس

آه ... أنا أتألم، سحبوني من بين الركاب، احتواني العمو بين
ذراعيه، وانتشلي، فتحت عيني: أين أنا يا عمو؟ هل هذا حلم
مزعج وكابوس، أم حقيقة؟!!

ضباع

صليت الفجر، ألقمت صدري طفلي الرضيعة، بينما اهتز
البيت، حملتها وتوارينا تحت المائدة، سمعتهم يقولون إن هذا
يفيد، نجوت بصعوبة، بينما الصغيرة استشهدت، نظرت إليها
بأسى، وحمدت الله أني وزعت أبنائي الأربعة إلى بيوت
الأقارب، حماية لهم من إصابة واحدة تغييهم... فرحت
لنجاتهم، لم أكن أدري أن يد المنون طالتهم جميعهم، بقيت
وحدي أجتز آلامي، غصة في حلقي تحبس دموعي التي جفت
في المآقي... لماذا أبقيتني أيها الموت أتجرع مرارة الفقد، وأموت
كل يوم ألف ميتة وأنا على قيد حياة لا تشبه الحياة...!

روح متشظية

ظلام دامس، خصوصا أن القطاع بلا كهرباء، لليل هييته
وجلاله، فجأة أضاءت السماء مع دوي يصم الأذان ... انهار
المنزل... آه ... أنا أتألم ، لعلي مصاب، ثوانٍ وغبت عن الوعي،
لا أدري كم مضى من الوقت وأنا على هذا الحال، عندما
استفقت من غيبوتي وجدتني في مستشفى لا يشبه المستشفى،
نظرت حولي ... حشود من المصابين على الأسرة والأرض وفي
كل زاوية، سألت عن أفراد عائلتي، ربت على كتفي طبيب
شاب وقال: البحث جار عن مفقودين، نظرت إليه بهلع، تجهم
وشد على يدي، أدركت أنهم قضوا تحت الأنقاض، فرت من
عيني الدموع، قال الطبيب: إصابتك طفيفة، ستعافي بإذن الله.
نعم ... إصاباتي بسيطة ، لكن روحي متشظية ... من يدرك

عمق إصاباتي إذن؟!

جوع

(1)

جائعون، الطعام شحيح، أمس أكلنا، اليوم نصوم آه متى
يأتي الغد؟

(2)

جائعون ... اذهب يا ولدي إلى التكية، واحضر لنا شيئاً نتقوت
به ... انتصف النهار ولما يعد بعد، في طريق أوبته صفر اليدين،
عرج إلى حاوية الزباله ينقب عن شيء يؤكل ... !

(3)

جائعون، الطفل أشدنا ضعفاً، هزال... أصبح جلداً على
عظم... مراسموس*³.

*³ . مراسموس: مرض قاتل يصيب الإنسان جراء سوء التغذية.

(4)

جائع ... في العراء، آكل ما تجود به الأرض، أعشاب ... امتلأت
معدتي ... آه ... مغص حاد، قيء ... لعي تناولت أعشابا سامة
دون أن أدري ...

خداع

وصلت المعونة، على شحتها أفرحتنا، هيّا إذن ... نهول بنشاط
متسابقين، كل يأمل أن يحصل على حصة تسد رمقه، تجمعنا
أجسادا متراصة، نمد أيدينا متهللين. قصف طيراني مفاجيء
استهدفنا، فرّقنا، وقتل منا من قتل.

صدمة

الحوانيت فارغة، وحدها الأفران تعمل، نتسابق كي نحصل على رغيف ... الحصص ضئيلة، ونرضى، أما الآن بعد أن قُصفت الأفران، ماذا بقي لنا غير الجوع والحرمان؟.

وهم

ماذا في يدك يا ولدي؟
مصيدة فأر يا ماما، وجدتها، أنظري...
قطعة جبن داخلها وأنا جائع...

حرقة

القصف وارى أفراد عائلته، بقي هو، احتضنته خالته، وضمته
إلى طفلها، أحسنت معاملته، وعندما شح الطعام، خصت
ولديها وقنت حصته، شعر بالذل، وبحرقة الفقد... نظرت إليه
بعطف وبكت.



حلم صغيرة

أشتاق لقضمة خبز أبيض يا ماما! أغمضي عينيك وتخليها...
نعم ولكنني عندما أمد يدي لألتقطها تختفي، كيف أحصل عليها
يا أمي؟



عذاب

أمي بالداخل، اسحبوها ... نظروا إليه بأسى، هم يدركون
استحالة ذلك، الفتحة صغيرة، ولا معدات تساعدهم في إزاحة
الركام والحجارة لتوسيع الفجوة، كان طفلا جريحا، عبثا حاولوا
نقله إلى المستشفى، رفض بشدة، وصرخ: هي هناك، تنن، لن
أسامحكم كيف أبعدتموني عنها، أعيدوني إليها.

؟

انهار المنزل، استشهدوا جميعهم إلا الرضيع الملتقم ثدي أمه
المقتولة.

طقس

صباح هذا اليوم، عثر الرجل على كسرة خبز، أمسكها، وتأملها
باحترام، قبلها ثم حفر حفرة صغيرة، دملها جيدا، وقرأ الفاتحة،
هو ليس ممسوسا كما يخيل لكم.

فقط كسرة الخبز كانت مخضبة بدماء ولده الشهيد الذي قضى
أمس إثر قصف استهدفهم وهم يتناولون الطعام.



ألم

كانت وفاته صدمة، لم يكن مريضا مرضا عاديا، إلا أن الجوع قتله، تذرف أمه الدموع، وتضممر أن تمتنع عن الطعام تضامنا معه ، إلا أن أعين أطفالها الثلاثة الباقيين تحديق بها فتشعر بتأنيب الضمير، أخيرا تمد يدا مرتعشة تتناول كسرة خبز أمامها، فيمدون أيديهم أسوة بها، يلاحظون ارتباكها، يترددون، تبسم لتشجعهم على تناول الطعام، وتبكي.



الحج

الأضحى على الأبواب، الشيخ الطاعن يشعر بالأسى، كان
يتمنى أن يؤدي فريضة الحج ليكتمل العيد في مكة المكرمة، أما
مع هذا الحصار فلا سبيل لذلك، يحزن أيضا لأنه أنفق كل ما
كان يدخره لهذه الغاية على الطعام والتزوح، والبحث عن مأوى
له ولأسرته، والآن ينحس أن ينوي الحج وهو لا يملك إليه
سبيلا ...



العيد في غزة

(1)

هل حقا اليوم عيد يا أمي؟

نعم يا ولدي، كل عام وأنت بخير.

أين لباس العيد يا أمي؟ في العام الماضي ذهبنا لمدينة الألعاب،

وألستني ثيابا جميلة، واليوم ... ينظر لملابسه المهلهلة ... واليوم

حتى لا طعام.

ينظر لأمه مستفهما، ويختار لصمتها المطبق.

(2)

اليوم عيد يا ماما ولا نقود معي.

فقط، هذا ما تريدينه؟ تناولها قطعة نقدية. تناولها وتبتسم، ثم في لحظة تغيرت تعابيرها، تنظر لأمها بأسى وتقول: ماذا أصنع بها، ولا بائع بالونات في المخيم، ولا حلوى، ولا دكان... ولا حتى طعام... ترمي قطعة النقد وتبكي.

(3)

صحيح أنهم في الجنة يحتفلون في العيد يا أمي؟

نعم يا ولدي، لا بد أنهم يفعلون ذلك.

أبي وابن عمي إسماعيل، وخالتي هنية، و... نعم جميعهم...
جميعهم يا بني.

هناك يخلو الاحتفال، سيلبسون من ثياب أهل الجنة، ويأكلون
لحوم الأضاحي التي حُرمتنا منها نحن هنا، ويجتمعون .. ولا
أحد من أقاربنا حولنا... أين هم يا أمي؟

متفرقون، نازحون ... أو ... أو ...

أو قد يكونون شهداء؟

العلم عند الله يا بني.

هناك يا أمي الأطفال يلعبون ويرقصون، حيث لا قصف، ولا

موت، ولا رعب، متى سنوافيهم يا أمي؟

ما بك تصمتين؟ أريد أن أتخلص من عذاب الدنيا، متى يا أمي

متى؟

(4)

ما بك متجهها؟

كنت أزور محارمي صبيحة يوم العيد، أخواتي الثلاث ارتقين

شهيدات، وأمي سبقتهن.

لكنك قصدت ابنة عمك.

توا عدت من عندها. جريحة تنزف، وزوجها يجتر آلامه.

لماذا عدت إذن؟

لا أريد أن أراها تحتضر أمامي، وهي آخر امرأة على قيد الحياة
من محارمي أزورها صبيحة يوم العيد آآه.

(5)

زوجته شهيدة، وأخواته كذلك، الآن يجلس مع أهل المخيم في
خيمة نصبوها لاجتماعهم صبيحة يوم العيد. يتلفت حوله
بأسى، لا أحد من أقاربه.

(6)

نظر إلى أبنائه، يرفلون في ثياب مهلهلة، لكنها نظيفة، حرصت
أمهم على نظافتها يوم العيد، شعر بالرضى. أقبل ولده الصغير

ذو السبعة أعوام، حافي القدمين، حذاؤه مهترى، بادر قائلاً:
الأرض ساخنة، تلسع قدمي، ماذا أفعل يا أبي؟

(7)

تسعة شهور ونحن بلا عمل، وما كان في حوزتي أنفقتة على
الطعام والمأوى، واليوم أقبل العيد، وناولها كيس زعتر ورغيف
خبز قائلاً: هذا ما استطعت أن أوفره لكم طعاما بدل لحم
الأضاحي ...

(8)

نظرت لطفلها المبتسم، رببت على كتفه وقالت: هل أنت سعيد
يا بني؟

قال: نعم يا أمي، لكن هناك حيث كنا في بيتنا، الحياة كانت
أجمل، متى سنعود إليه يا أمي؟ العيد هناك أهبى، هناك أشياء

كثيرة أفقدتها الآن ... متى سنعود؟ متى ... ؟ ماذا ؟ أنت
تبكين؟ لماذا؟ هل أسأت إليك؟ ... أني أشعر بالسعادة الآن يا
أمي ، هل يرضيك هذا ؟ ... أنا سعيد ... سعيد.

أحلام العيد

(1)

الطفل : صدر أُمي الدافئ، قيل لي إنها صعدت إلى السماء، لم أرها كيف فعلت ذلك، لكنني رأيت منزلنا مهتما، ودماء أُمي ساخنة على فراشها الممزق، ولم أرها ... آه ... أُمي ... أُمي .

(2)

الطفلة: كسرة خبز طرية، كوب عصير بارد، وحذاء ... حذاء يقيني لسعة الحر عندما تطأ قدمي الأرض ... حذاء ... حذاء .

(3)

الفتاة: زغرودة ... ليست كما تطلقها النساء خلف نعش الشهيد، بل زغرودة فرح عندما أرتدي ثوب زفافي ... آه ... نسيت حينها أني سأضع باقة ورد على قبر خطيبي ... نسيت أيضا أنه تمزق أشلاء، جُمعت ووريت في مكان بعيد ، بلا شاهد

قبر أزوره لأذرف دمة تنعش ذاكرتي ، وتعيدني عروسا من
جديد ... آآه.

(4)

الشاب: الثأر ... الثأر ... لكن كيف وأنا أعزل، مكبل اليدين
والقدمين، ورائحة المسك تفوح من قبر أبي الشهيد، تحثني
لأمتطي الريح، وأمضي قدما، الثأر يناديني، ويستثير عزمي،
نعم، سأنتقم يا أبي يوما ما، ليس بعيدا ... انتظرنى فقط ولا
تياأس، الثأر ... الثأر ...

(5)

الرجل: نقود ... نقود ... اشتري حلّة لزوجتي يوم العيد،
وحلوى لأطفالي ... لكن الواقع يبدد أحلامي ، فأحمل حلّتي

وأقف بين الحشود لأحضر طعاما مما يقدمونه لنا ... آه على نقد
أشترى به لحم أضحية، لكن للعدس رائحة تثير شهيتي وتعيدني
للواقع رغم أنفي ... آه ... العدس ... العدس ...

(6)

المرأة: موقد غاز يعيدني سيدة البيت بجدارة ... أحضر طعاما
شهيا، لكن أين هو البيت؟ وأين الطعام؟ إنه حلم يراودني
لأستيقظ على كسرة خبز يابس، أبلله بالماء لأطعم أطفالي
النحالي ... آه على رغيف خبز ساخن ... ساخن ...

النزوح

(1)

بعد أن تهدمت معظم منازلنا قررنا النزوح، إلاّ ذلك المسن،
رفض أن يتزحزح من مكانه، يجلس على ركام منزله المتهدم،
عبثًا حاولنا إقناعه ليرافقنا، أبي بشدة، وقال: بيتي كان مأواي،
كنت ألازمه في رخائه ونعيمه، هل يعقل أن أتخلى عنه وهو
ينزف؟ سأبقى أسانده، وأشد أزره، سأبقى، وسأعيد بناءه من
جديد بيدي النحيلتين، سأجبل طينه من دمي ... آه ... أعلم
استحالة ذلك، أنا أهذي، الهذيان نصف الحقيقة، ونصفها الآخر
باطل وزور وهتان ... دعوني ... اذهبوا دوني ... أتركوني على
أنقاض بيتي أصلي.

(2)

جميعهم نزحوا إلآي، أجلس على ركام عمارتي المنهارة، أربعون سنة من الكد والعمل المتواصل حتى أنشأتها ... انهارت في غمضة عين إثر قصف همجي استهدف حيناً، لست حزينا لأجلها، ولكني أتجمع مرارة الألم على فقدان ساكنيها، أبنائي الأربعة وزوجاتهم، وأبنائهم ... اذهبوا ... سأبقى هنا أحرس أشلاءهم ... أرواحهم تحوم حولي، كيف أتخلى عنهم وأرحل؟!!

(3)

أ- أثناء نزوحنا قصف استهدفنا، قُتل من قُتل، وجُرح من جُرح. التفّت ... صديقي مصاب، حاولت حمله، كان ينزف، أدركت أنني لو حملته وركضت به سأؤذيه، نظر إلي وقال: اذهب مع الركب ... نجاة واحد أفضل من هلاكنا معا. الآن أتذكر

كلماته، وصخرة تجثم فوق صدري، وتحبس أنفاسي، كيف
طاوعته ومضيت دونه؟ لو حملته لن يحتمل قسوة الطريق،
سيتصفى دمه، لكن لو تركته ستكون النتيجة ذاتها، سينزف
حتى النهاية ... أتخيل دمعة انحدرت على خده عندما غدرته أنا
الخاطيء دون إرادتي .. كيف أكفر عن ذنبي وأستريح ... آآه ...

ب- آه .. جرحي عميق، أنزف بشدة، كيف طاوعتني يا
صديقي وسمعت نصيحتي ومضيت؟ لو أخذتني معك
سأموت بين يديك ، فيخف مصابي، أما الآن لا رفيق يساندني
ويشهد وفاتي، ويطبق أجفاني، ويقرأ الفاتحة على روحي ... ما
أقسى الموت في العراء ... وحيدا مع الذئب والغربان والكلاب
الضالة ... آآه ...

(4)

قُصِفْنَا أثناءَ النِّزوحِ، فَرَتِ النَّاسُ، وَلا شَعُورِيَا اصْطَحَبْتِ
الرِّجَالَ بَعْضُ الْجُرْحَى بِاخْتِيَارِ عَشَوَائِي، التَّفْتُ حَوْلِي ... خَمْسَةَ
جُرْحَى يَنْظُرُونَ إِلَيَّ، احْتَرَّتْ مِنْ أَصْطَحَبَ مَعِي، مِنْ يَرِافِقُنِي قَدْ
تَكْتَبُ لَهُ النِّجَاةَ، وَهَلْ أَنَا مِنْ يَقْرُرُ هَوِيَةَ النَّاجِي؟ وَقَفْتُ مُتَبَلِّمًا
أَنْقَلَ نِظْرَاتِي بَيْنَهُمْ وَالْحِيرَةَ تَمزِقُنِي، أَخِيرًا اخْتَرَقَتْ رِصَاصَةَ
صَدْرِي، تَكُومَتْ بَيْنَهُمْ، وَحَمَدْتَ اللهُ أَيْ نَجُوتَ مِنْ اجْتِيَازِ
امْتِحَانِ صَعْبٍ ... آه ... أَنَا أَتَأَلَّمُ.

(5)

أثناءَ نِزُوحِنَا قُصِفَ اسْتَهْدَفْنَا، كَانَتْ الْجِثَّةُ تَتْرَامِي، وَالْجُرْحَى
تَسَاقُطُونَ، كُنَّا نَصْطَحِبُ مَعَنَا بَعْضَهُمْ، مَنَا مِنْ يَحْمِلُ جِثْمَانَا،
وَأَخْرَ يَعْكَزُ جَرِيحًا، أَوْ يَحْمَلُهُ، وَلَكِنَّا لَمْ نَسْتَطِعْ اصْطَحَابِ
الْجَمِيعِ، كَثِيرُونَ تُرْكَوْا رِغْمًا عَلَيْنَا عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، كُنَّا لِلْأَسْفِ

نترك جرحى نازفين، نقترف هذا الجرم مجبرين عليه، تتلخخ
أيدينا رغما عنا، السرعة مطلوبة، علينا أن نغادر بلمح البصر،
المكان مَسْتَهْدَف، مضيئا دونهم وشيء في داخلنا يتمزق، لهم
الله... فقط استوقفني صراخ طفل في الثانية من عمره على ما
أظن، كان يجلس بين ذراعي رجل طاعن، لعله جده، الرجل
ينزف بشدة، نظرت إليه، ليس في وعيه، يبدو في غيبوبة... وقد
يكون فارق الحياة ! لست أدري، نزعت الصغير من حضنه
ومضيت مهرولا مع الركب.

الآن بعد أن وصلنا إلى مقرنا الجديد، أشعر بالحيرة والارتباك، لا
أعرف اسم الصغير، وإلى من سأنسبه، التفت إليه، كان يبتسم
بعد أن شعر بالأمان، قال: بابا... مم... نظرت إليه باندهاش،
أخيرا حسم هو الموقف، حضنته وبكيت.

(6)

كنا نهرول مبتعدين، شاردين، الرصاص يتعقبنا، كنت أحمل طفلي، وأمسك بيد طفلي الآخر، وأجره خلفي، وهو يتعثر في خطاه، كان زوجي يحمل شيئاً من المتاع، وفجأة سقط على الأرض، نظرت إليه، إنه مصاب، ينزف، قال بصعوبة: تابعي الطريق، نجاة الصغيرين أهم مني، اذهبي، وسأتدبر أمري، ووقفت مترددة، أنظر إليه والحيرة تمزقني، كيف أنخلي عنه؟.

وشيء بداخلي يجرمني لو بقيت قربه وأصيب الطفلان أو قُتلا، أو لو قُتلت دونها، ماذا سيفعلان بعدي؟ فكرت فيها ومضيت معها تاركة إياه نازفاً، والآن بعد أن وصلنا إلى مقرنا الجديد، الذي لا أعلم كم سنمكث فيه، حيث أننا نتهجر من مكان إلى آخر.

المهم استفسرت عنه، لم أحصل على إجابة واضحة تؤكد لي نجاته أو وفاته، ولا أستطيع أن أجزم بنهايته، وإن كنت أحدها

إلا إني أرفضها ، وبشدة ... ما علي إلا الانتظار، إلى متى سيطول
انتظاري، لست أدري.

(7)

في مقرنا الجديد تجمعنا، وتفقد كل منا أحبابه، ولا أقول أقاربه،
فنحن لا نفرّق بين قريب أو جار أو صديق، تجمعنا عشوائيا في
نسيج اجتماعي حميم، قوة ترابطنا صنعتها المحن التي توحدنا،
وتزيد تماسكنا، كلنا أصدقاء، وأخوة، نحزن لفقدان أحباب لنا
استشهدوا، ونفرح لخلاص آخرين، أقول نفرح على استحياء...
لا حيز للفرح وجراحنا تنزف، لكننا لا نستطيع أن نكبت فرحة
تباغتتنا عندما نعلم بنجاة أحدنا. نصبنا خيمنا، وضمرنا أن
نتعاش رغم قساوة الظروف حتى يأتي الفرج، لنسجل
صمودنا، ونُشهد الأمم على صبرنا وثباتنا، وتمسكنا بأرضنا، لم

يطل مكثنا على هذا الحال حتى اشتعلت السماء فجأة، غارة...
استهدفنا في مقرنا هذا الذي وجهنا إليه... وماذا بعد؟
نحن لا نياس، ولا نستكين، ولا نستسلم، إما نحيا أو نموت،
ومن تُكتب لهم النجاة منا سيتجمعون للبحث عن رحلة نزوح
جديدة لتكون بداية النهاية لأعدائنا.

(8)

توجهنا إلى مدرسة، توزعنا في غرفها، والممرات، شغلنا كل حيز
فيها، وضعنا أمتعتنا المتواضعة التي نجت، وأقول نجت لأننا
تعرضنا للنهب، كانت بعض النساء قد اصطحبن معهن مصاغا
مما لفت انتباه قوات الاحتلال الذين تكالبوا عليهن، وسلبوهن
ما بحوزتهن من المعدن الأصفر.

نحن نعلم أن لا قيمة للمصاغ الآن ، حيث لا سوق، ولا بنوك،
ولا أي شيء من مقومات الحياة، لكن هذا قد ينفع فيما بعد
عندما تستقر الأحوال، وتنتهي الحرب، ونبدأ البحث عن مقر
ثابت لنا ... شطحت بخيالي للبعيد ، لكن من يدري قد يتحقق
هذا قريباً بعون الله .

حشرنا أنفسنا في غرف المدرسة، لمحت طفلاً في التاسعة من
عمره يبكي ... سألته عما يبكيه؟ قال: هذه مدرستي، كنت
أدرس في هذا الصف، وأشار إلى غرفة ما ... والآن آتي إليها
نازحاً ولست طالب علم مما يؤلمني، كما أني لا أعلم إن كان
مدرسونا على قيد الحياة أم لا ! ربت على كتفه وقد انعقد لساني،
ضاعت الكلمات مني ... إلا أن الصغير فاجأني بقوله: سنعود
إليها يا عمو تلاميذا بإذن الله إن كُتبت النجاة لنا، ومسح دموعه
وابتسم، خجلت من صموده أمام تقاعسي، وشعرت بالفخر أن

الجيل القادم سيحمل الراية، ويواصل الدرب، إلاّ أني شعرت
بالحزن على طفولة ضائعة غيَّبها الظلم .

(9)

اخترنا مدرسة لنستوطنها كونها مكانا من المفروض أن يكون
أمنا غير مستهدف. توزعنا في أرجائها، وبتنا ليلتنا ونحن نحمد
الله على اختيارنا المكان الموفق. في الفجر، في موعد الأذان الذي
حُرّمنا من سماعه كون المساجد قُصفت، والمآذن تهدمت، في هذا
الوقت بالذات سقطت قذيفة في ساحة المدرسة ، وامتدت
الشظايا إلينا، أصيب منا من أصيب، توالى القذائف، هرعنا إلى
الطابق السفلي، تجمعنا متراصين، نلوذ ببعضنا والهلع يُربكنا
ويتملكنا، بعد انتهاء القصف، تفقدنا أنفسنا، الشهداء منا
تركناهم، وأجلنا دفنهم ريثما نتدبر أمر المصابين ... لمحننا سيارة

إسعاف، تهللنا، وقلنا جاء الفرج، إلا أن قوات الاحتلال تمنعها من الاقتراب، ويبدو أنهم حاولوا الدنو منا، كانت النتيجة أنهم أطلقوا النار على طاقم السيارة، سقط شهداء من المسعفين، واستشهد الطبيب كذلك، أدركنا أننا في وطننا نفتقد الأمان، لكن رغم قسوة الظروف نتحدى فزعنا، مزعنا قمصاننا لنربط على جراح النازفين، ريشما يتأتى لنا أن نتخلص من هذا الظرف الذي لا نعلم كم سيطول؟ والغريب أننا لم نبك شهداءنا، شغلتنا عنهم الأزمة، وهم حتما جزء منها، لكن قلوبنا تحجرت، أو هكذا يهياً لنا في حالك الظروف، نحن حقيقة نمتلك إرادة قوية، ومع ذلك نحزن، لكننا ندمل حزننا لنستطيع المواجهة، نؤجله فقط مع أننا نبكي... نبكي بصمت وبلا دموع.

(10)

في المخيم، قصف استهدفنا، هرعنا إلى المستشفى نحتمي فيه، كونه المكان الآمن حسب القوانين الدولية التي تحرم المساس به. تكدسنا في ممراته، مع الجرحى الذين يشغلون كل حيز فيه، يملؤون غرفه والممرات، ويستلقون على الأرض بلا غطاء أو فراش، والغريب أيضا أننا شاهدنا طبيبا يجري عملية بتر أطراف لصببي في الممر دون تخدير، ونحن حوله، إذ أن غرف العمليات مشغولة عن آخرها. كان الصببي يصرخ صراخا مكتوما ، ويكز على أسنانه، ونحن ننظر إليه والألم يعتصرنا، علمنا أن مادة التخدير مفقودة، مستثناة من الموارد التي ترد إلى المستشفى، حيث أن قوات الاحتلال تسحب هذه الهادة من الإمدادات الشحيحة التي تصل، وعلى شحتها إلا أن الأطباء يحاولون، وبتكرون طرقا للعلاج على قدر المتاح. ما أن انتهى الطبيب من

عمليته حتى سقطت قذيفة في محيط المستشفى، تلاها إطلاق نار، استلقينا على الأرض تفاديا للرصاص، وأدركنا أننا مستهدفون أينما توجهنا، ولا مكان آمن في وطننا ، ومع ذلك نحن صامدون.

(11)

تجمعنا نتفقد أحوال الناس بعد القصف، ركام ودمار، جثث مترامية، وجرحى كذلك، قسمنا أنفسنا، بعضنا تبرع بنقل الجرحى إلى المستشفى، وبعضنا ارتأى أن نبحث عن شهداء آخرين تحت الأنقاض، لمحا فتحة صغيرة، نظرنا من خلالها، ظلام يجلب الرؤية، لكننا سمعنا همهمة ما، حُيل لنا أننا نتهياً، لكن كوننا سمعنا الصوت جماعة أيقنا أننا لسنا واهمون، عملنا بنشاط على توسيع الفتحة، إذ بيد آدمية تتحرك، دبّ النشاط بنا،

أزحنا الحجاره والتراب، وسّعنا أكثر حتى انتشلنا امرأة شابفة على قيد الحياه، كانت جريحه، أردنا نقلها إلى المستشفى، رفضت ما لم نبحث عن أبنائها الثلاثة، عبثا حاولنا إقناعها، قلنا لها هنا من سيبقى ليوصل البحث، لكن علينا أن نسرع بنقلها، رفضت بشده، ركنّاها جانبا، وبحثنا بنشاط، أخيرا انتشلنا جثمانى طفلين، ولم نعر على الثالث، نظرت إليهما، نادتهما... قالت: لعلهما في غيبوبه، نظرنا إليها بصمت، قالت: نعم ... أدرك أنّهما استشهدا، لكن الثالث حي، مستحيل أن أفقد الثلاثة، أليس كذلك؟ تبادلنا النظرات بحيره، ووعدناها أن نبحث، لكن علينا نقلها الآن، وسيبقى من يتولى البحث، قالت: بل نجده أولا، إنه هناك، وأشارت إلى الركام، بحثنا بهمة جديده، وجدنا قدما صغيره تتعل حذاء ورديا، قالت: نعم، هذا حذاءه ... إنه صغيري، آخر العنقود، أخواه أحسبهما عند ربي شهيدين، وهذا

أرضى أن يكون مقطوع القدم، احتضنت قدمه وقبّلتها، وقالت:
هذه قدمه، ولكن أريده حيا، ابحثوا... تبرع رجل وتسلسل إلى
الداخل، وآخرون مكثوا قرب المرأة يحاولون تضميد ساعدها
النازف، أخيرا عاد المتسلسل يحمل جثمان الطفل، قالت: نعم ،
هذا هو، إلي به، قربناه منها ، قالت: هو حي، لا أرضى غير هذا
الاحتمال... أخواه قضيا، لكن من المستحيل أن أفقدهم
جميعهم، أبوهم استشهد أمس، أمّا هذا فهو حي، أليس كذلك؟
نظرنا إليها بصمت، لا نعرف كيف نواسيها، نظرت إليه مليا، ثم
قالت: الحقيقة ماثلة أمامي، هم جميعهم شهداء، لكن لم أبقيتني
يا الله لأتجرع مرارة فقدهم؟ أو مآنا إليها نستحثها كي ترافقنا،
قالت: أشيع شهدائي أولا، ثم أذهب معكم، دعوني قربهم، أو
ادفوني معهم، وبكت ...



مشهد 1

جثث مترامية، ونازفون يئنون ويتوجعون، جرفتهم الجرافات الإسرائيلية، ودفنوا جماعة. دفن الموتى نتقبله ونرتضيه على مضض، حيث لم تتح لنا الفرصة لوداعهم، وتأبينهم، وقراءة الفاتحة على أرواحهم، ومع ذلك نقر بوفاتهم، وبضرورة دفنهم ونرضى، أمّا وأد الأحياء النازفين ... فعل غير مسبوق في تاريخ الحروب، لا أجد كلمات توصف هذا الفعل الشنيع، لكنني أقول ببساطة أنه تم مع سبق الإصرار والترصد ... عندما يمر هذا الشريط أمامنا نبكي بحرقة، وشيء في داخلنا يخرضنا ...؟!!

مشهد 2

ماذا عنكم أيها الشرفاء؟ نزفتم دماءكم فتخضبت الأرض، كتتم تشبثون بالحياة مثلنا، لكننا نجونا، نعتذر منكم لنجاتنا دونكم، لم يكن ذلك باختيارنا ... تحديتكم جراحكم بصمت، ظنا منكم أن النجاة آتية ولو بعد حين ... خدعكم العدو، امتدت مخالبه لتنهشكم، وتسحقكم بهمجية ، وُئدت مع الشهداء، اغتصبكم الموت، لم يكن موتكم انتحارا ، بل اغتيال متعمد، قدر، وحشي غير مسبوق في تاريخ الشعوب، نتخيلكم هناك في محاولاتكم استنشاق الهواء، فيدهمكم التراب، ويملاً أنوفكم، وأفواهكم، ويخنقكم بلا رحمة، ويسلب حياتكم، فتتعذب أرواحكم، عندما يمر هذا الشريط في مخيلتنا نقشعر وندمع، فكيف لو شاهدنا بأم أعيننا كيفية وأدكم، وما جرى لكم تحت الأرض؟ كيف لو شاركناكم مصيركم، لكن نحن بقينا لنحدث عنكم، لنرفع

أصواتنا على الملاء ... أعزاءنا، نأسى لمصيركم الأليم، ونفتخر
بكم، ونعزي أنفسنا أنكم ارتقيتم شهداء، والشهادة فخر وعز
وجلال. سطرتم في صمودكم معجزة تبهرنا، وتؤلمنا في آن،
نخاطبكم الآن عن بعد، حيث لا مجال للعودة إليكم، ولا شاهد
يدل عليكم، لكننا على يقين أنكم لو أزيل أثركم ستبقون أعلاما
بارزة، موتكم يشكل وصمة عار على جبين الجبناء، لا تمحي،
ولا تزول. جُبل التراب بدمائكم لتنبت زهرة يفيض عبقتها
ويمتد إلى أرجاء المعمورة ليحدث عنكم ... آه ... لم تعد
معمورة بعد أن تهدمت، نعدكم إن أحيانا الله أن نُعيد إعمارها،
نعلم أنكم ستفرحون من أجلنا، نقول هذا والحزن يفتتنا ...
سنحزن ونحزن كونكم لن تكونوا معنا، لن تشهدوا ترميمنا...
إلى ذلك الحين نودعكم، ونهديكم أحر أشواقنا، وتقديرنا،
ومحبتنا، وفخرنا. لأرواحكم الرحمة والمجد والخلود. ***

صورة 1

من أمام المستشفى ... أنا الصحفية س أنقل لكم الواقعة كما
أراها ، حيث يتعرض المستشفى للقصف، المصابون القادرون
على الحركة غادروه، أما ذوو الإصابات الحرجة، فاقدوا الحركة
منزوعون في أماكنهم غير الآمنة ... الطاقم الطبي بعضه غادر
وبقي آخرون للعناية بـ آه ... يبدو إني مُستهدفة، سأغير
مكاني ... سأرفع صوتي ... قوات الاحتلال تقتحم المستشفى
الآن، وتطلق النار ... وابل من الرصاص .. آآآآه ... !!؟

صورة 2

لماذا اخترت هذه المهنة يا ولدي؟ لتجاهر بنقل الحقيقة؟ وماذا كانت النتيجة؟ أنت الحقيقة الآن وأنا أجاهر بنقلها وأقول: استشهد ولدي الصحفي أثناء أدائه وظيفته في الميدان، كان ينقل الخبر، وأصبح خبراً يُنقل، سبقوك يا ولدي زملاء لك، ولن تكون الأخير، أرض غزة تنجب الأبطال الذين سلاحهم الكلمة، والكلمة سيف بتار ... آه ... سيفك البتار اخترقني يا بني وأنا أراك صريعا أمامي ... هل حقا لن أراك بعد اليوم؟ هذه الحقيقة تُفقدني توازني ... أعذر دموعي إذ تختلط أحاسيسي بين فرح وحزن ... لا أستطيع أن أعبر بطلاقتك يا بني، لكنك تفهمني ... أنت شاهدي وشهيدي، وفقيدي، لذا أبكيك ... وداعا يا ولدي ... وداعا يا حبيبي ... آه ... النصر آت يا بني، لا تغضب ... وداعا. ***

شهداء

1. والدة شهيد:

ولدي الحبيب، أرقد بسلام، لروحك الطاهرة عبق وريحان،
سامحني لعجزتي، حولي دمار ورماد ودخان... لا وردة في
حوزتي أزين بها التراب الذي احتواك، لكن أنا الجريحة في روعي
أحمل لك أرق مشاعري ومحبتي، هذه ثروتي، أرسلها لك عبر
الأثير، ستصلك يا ولدي غير منقوصة، يد الاحتلال لا تصل
إليها. رغم إفقارنا الهادي، ودمارنا إلا أننا أثرياء في أحاسيسنا،
قلوبنا عامرة بالمحبة، وعشق الحياة... آه سلبوا حياتك يا
ولدي، لكن روحك تحوم حولي نسائم لطف، لا أصدق أنك
غادرت، أرى أشلاءك أمامي ولا أصدق أنك انتهيت، نعم...
قلبك ينبض، أسمع وجيبه فيستجيب قلبي لندائك، وأتحدى
الكون أنك تعيش في داخلي أبد الدهر، استغفر الله الذي لا راد

لقضائه. أنت حي في ذاكرتي فقط ... أنا أمك أحياء، ولا أدري إلى متى سأبقى على قيد الحياة، بين لحظة وأخرى تُكتب لنا الشهادة أو النجاة، لكني سأبكيك يا ولدي ما دمت باقية على هذه الأرض التي نعشقها. جمعت أشلاءك أو بعضها ، دلني عليها فؤادي، وبعض أسال مما كنت ترتدي يا حبيبي، جمعتها، ودفنتها هنا بلا شاهد قبر ، ولا كفن، الأكفان شحيحة يا ولدي، ولكن دم الشهيد هو الثمن، مسك دمك ينعش روعي فأشعر بالقوة، لن أنهار يا ولدي، اطمئن، سأقاوم ... سأقاوم ما دمت أحياء، سأقاوم، وداعا يا ولدي، سأقاوم سأقاوم.



2. والد شهيد :

لماذا سبقتني يا حبيبي؟ كنت تعطيني الأولوية في كل شيء، إلا هذه المرة، لم ترحم ضعفي وذبولي وتركتني أبكيك ... لا تقلق، هي دموع الفرح لشهيد ارتقى مدافعا عن وطنه وعرضه، أعلم أنك لم تكن مقاتلا، لكنك كنت صامدا، وصمودك مقاومة، إيمانك بالقضية مقاومة، كفاحك لتأمين مقومات الحياة مقاومة، كنت دؤوبا لحمايتنا، وتأمين مآكلنا ومشربنا ... الآن أنا أبوك الضعيف لا أستطيع أن أقف الساعات لأحضر سطل ماء، أو غرفة طعام مما كنت توفره لنا أنا ووالدتك، فجوة عميقة حفرتها في قلبي لا يملأها أحد سواك، نعم، ستبقى في قلبي ما دمت أحياء على ذكراك، وداعا يا بطلي، كلنا مشروع شهادة. استشهادك كان سباقا ونحن بك لاحقون، وداعا يا سندي، يقولون الأب سند لأبنائه وعائلته، لكنني شيخ طاعن، كنت أنت سندي، ولآن

تركنتني في مهب الريح، إما أقاوم أسوة بك أو أستشهد
وأستريح، علمتني معنى الشهادة يا ولدي، وداعا يا حبيبي
وداعا، عاهدت نفسي أن أصمد ولا أبكي، لكن دموعي تطفر
من عيني رغما عني، دموع الفرح والفخار ... أنا فخور بك يا
ولدي ... آآآه ... وداعا .



3. أخت شهيد:

سأفتقدك يا أخي، أتذكر عندما كنا صغارا، كيف كنا نلعب ونركض، ونتسابق! كنت تتباهى أنك تسبقني وأبكي غيظا، كنتُ أرفض تفوقك علي، كنت أشتمك، وأشاكسك فتضحك، وتزيدني ضحكاتك غيظا وأبكي ... وكبرنا، وبقيت متفوقا علي في دراستك التي حُرمتنا منها هذا العام، أين كتبنا؟ تركناها هناك في بيتنا قبل النزوح، كان بيتا، ولآن أصبح رسما دارسا عليه السلام ... هل سنعود إليه معا؟ آه ... نسيت أنك غادرتني ، وتركتني وحيدة، أشعر بمرارة فقدك، من سيشاكسني، ويتباهى بتفوقه أمامي؟ ... كنت أشعر بالغيرة منك، لكنني في داخلي كنت فخورة بك ... أنت صخرة قوية، وستبقى شامخا أمامي ما دمت أحياء، ولكن ما الفائدة بعد أن تركتني ورحلت؟ عن أية صخرة أتحدث وأنت مجرد طيف يمر في ذاكرتي، لك السلام يا أخي،

استرح في مثواك، أعلم أن البكاء على الشهيد حرام، ولكنني
أبكيك بحرقة ومرارة، اغفر دموعي التي تنساب رغما عني وفاء
وتقديرا وحباً وفخارا... وداعا يا أخي، وداعا يا حبيبي، وداعا.



4. أخ شهيد:

كنا نجلس معا في خيمتنا، قُصف المخيم ... آه ... وختك يا
أخي ، وبقيت على قيد الحياة، لم أقصد خيانتك، لكن القصف
أبقاني واستهدفك، وصرت بعدك نازف الروح، نفسي منكسرة،
أحاول لملمة شتاتها فأتوه في بحر الأحزان. اسمح لي أن أطبع
قبلة على جبينك الوضاح، أودعها أحر أشواقي، ودموعي،

ولهفتي ... يا لشقائي بعدك، يعز علي فراقك، لكنك ستبقى
ذكرى حية ، تراودني طيلة أوقاتي، في يقظتي، وفي سباتي،
ستنطع صورتك في قلبي وعقلي ووجداني، أشعر بالحسرة كوني
لا أجد صورة لك أضعها في إطار يليق بك، الصور جميعها
احترقت في بيتنا ... الذي كان بيتنا قبل النزوح... لم يبق منك
سوى الذكرى يا أخي، لكني لن أستكين، سأنتقم لك، ولكل
المجروحين والمنكوبين ... سأنتقم، لا أدري متى وكيف؟ لكني
سأنتقم ... وداعا يا حبيبي ... وداعا.

5. زوجة شهيد:

في أمسية رائية مازحتني وتساءلت قائلاً: إذا مت قبلك هل ستسسينني؟ ضحكنا ولم أجبك. لكنك اليوم أحلت المزاح إلى حقيقة، وغادرتني يا حبيبي. كيف أنساك وقد زرعت في قلبي محبتك؟ كنا نجلس أمام خيمتنا، طلبت مني كأس ماء، ألوم نفسي الآن لماذا طاوعتك وعبرت للداخل لأحضر الماء لك! كان ينبغي أن أبقى لتتقاسم الشظايا التي قتلتك، ونموت معاً، لا أحتمل حياتي بعيداً عنك، وأتحسر لأنك مت ظمآنًا، وأبكيك بحرقة، لكنني سأمسح دموعي من أجل طفلنا ... آه ... عندما يكبر سيسأل عن أبيه، حينها سأبتسم وأرسم له صورة صادقة عنك، سأحدثه عن نبلك، ومحبتك، وبرك بنا، عن عشقك لغزة ولأرض فلسطين، سأجعله يفتخر بك، لكنني لن أستطيع سد الفجوة في قلبه التي تركها غيابك، إلا أني سأحاول، سأرسم

البسمة على شفتي وأحاول ... وداعا يا حبيبي ... أعدك أني
سأصبر من أجله، ومن أجلك كي تستريح في مرقدك ... وداعا،
وداعا ...



6. ابن شهيد:

بابا ... أرفع صوتي وأناديك، ولا تسمع، أهزك ولا تتحرك،
لكنك نائم... لا أستطيع أن أفترض غير هذا الاحتمال ... أنت
تغفو قيلولتك ... آه ... بركة الدم حولك تنفي اعتقادي بأنك
تجيا... لا أريد أن أنطق كلمة أخرى، ثقيلة على قلبي... قاسية...
بل مستحيلة... نحن في زمن المستحيلات يا أبي. بابا... اسمعني
أرجوك. جادلني، وبخني، اضربني... فقط لا تبقى ساكنا أمامي
سكونا أبديا يدمرني... بابا... دمك الزكي أمامي يؤكد لي حقيقة

استشد ... استشهدا...دك أقولها ولساني يعجز عن نطقها
بوضوح... آه... يا وجعي، خالفني الرأي وقل شيئاً بيدد
شكوكي أو يقيني... لكن لا بد أن أقر بشهادتك... ويلى، أنطقها
الآن بطريقة أسهل، هكذا نحن نتجرع الأسى يا أبى. فراقك
يؤلمني، لكن الحقيقة أبت إلا أن تفرض نفسها، وحقائق الحرب
بشعة في هذه الأيام... إلا أن استشهداك له أثر جميل... هكذا
نحن نتعلم كيف يكون الموت جميلاً، جماله يفتك بنا يا أبى، يفتك
بنا بلا رحمة.

اغفر دموعي الآن، هي دموع الألم والفرح عندما يتحدان
...فخور بك أنا يا أبى... وداعا... وداعا يا حبيبي... وداعا.

7. ابنة شهيد:

قلت لي إنك ستزفني إلى خطيبي ... واليوم كان مفترض أن يكون فرحي ... إلا أن استشهادك يا أبي صبغه بلون الحزن والألم... أحمر يا أبي بلون دمك الزكي... لماذا عجلت الرحيل يا أبي؟

من سيسلمني إلى زوجي، ويوصيه بي؟ إلى من ألبأ إذا شب نزاع بيننا؟ كنت سندي ... ملأت الفراغ الذي تركته أمي عندما استشهدت قبل شهر، لكنك وسعت دائرة الفراغ الآن ... من سيملاها يا أبي بعد رحيلك؟ لماذا تخلت عني ... أعلم أن الخيانة الحقيقية من عدونا الذي فرّق بيننا وغيبك، أحبك يا أبي، وقد تضاعف حبي لك بعد استشهاد أمي ... آه ... لماذا يخطف القدر أحياءنا بلا رحمة؟ إنه قدر مُفتعل يا أبي، إنه جريمة نكراء اقتُرفت بقسوة وهمجية، ووحشية غير مسبوقة ... أنت واحد من

آلاف سبقوك يا أبي، وحفروا جرحا عميقا في نفوسنا لن يشفى
إلا بالانتقام، أعذرني يا أبي إذ جعلت مأساتي عامة ولم أعتبرها
متفردة لك وبك، لكنها الحقيقة، ومع ذلك فقدك بالنسبة لي هو
الأهم والأوجع ... وداعا يا أبي ... وداعا يا حبيبي ... وداعا ...



8. صديق شهيد:

نم يا صديقي قرير العين، سأفتقدك دائما بحق المساءات التي
كانت تجمعنا، وسأذكر كيف كنا نجلس معا في ألفة ومحبة...
أشعر بالأسى لاستشهادك أنت بالذات كونك كنت الورقة
الوحيدة الباقية في شجرة عائلتك التي أيدت بالقصف الهمجي

الذي استهدفكم بلا رحمة... كنت تبتم وتقول لي: سأتمسك بالحياة، ومني ستفرع فروع كثيرة تعيد اسم عائلتنا إلى الوجود... كنت تقول لي ذلك بتصميم الواثق بحقه في الحياة، لكنك سقيتها دمك الطاهر لتدون في سجلات الفخر والعزة التي يسطرها التاريخ، هم يزورونه يا صديقي، لكن هناك أمناء يحافظون على مصداقيته، لا تقلق، سيكون لشجرتكم ذكر فيه، أعدك إن أحياني الله بعد هذه الأزمة أن أوثق أسماء جميع العائلات التي أبيدت، وسأذكر أن كان لي صديق أحبته كأخي، وعدته أن أفعل هذا من أجله، بل من أجل الدفاع عن أحقيتنا في الأرض... أحبك يا صديقي، ويعز علي فراقك... اسمح لي أن أطبع قبلة على جبينك، لن أتخلي عن وعدي لك ما دمت أحياء... الوداع يا صديقي... الوداع.



الشهيد

أختزل رغبة جميع الشهداء، وأقول نيابة عنهم:

سامحونا إذ غادرناكم، لكننا لم نغدر بكم، كان رحيلنا إجباريا...
نحن أحببناكم ورغبناكم، وسكبنا دماءنا دفاعا عنكم... قد
تساءلون وتقولون أن معظمنا من المدنيين والأطفال والنساء.

هذه حقيقة، نحن لم نحمل سلاحا، ولم نقاتل، لكننا لم نتخلى عن
بلادنا ونهاجر، مثلكم تماما، أطفالنا كانوا صامدين أيضا،
اغتيلت طفولتهم بفعل السلاح أو التجويع، أنتم تعلمون ذلك
جيذا، ولكنهم مثلنا متمسكون بحقنا في وطننا كما تفعلون أنتم
الآن، لذا نرجوكم لا تخشوا الموت.

الشهادة فخر وصمود... لا تبكونا، وحاولوا أن لا تلحقوا بنا
إلا إذا أجبرتم على ذلك... نحبكم، ونتمنى أن يهبكم الله

أضعاف شجاعتنا لتواجهوا الحقيقة، وتدافعوا عنها حتى آخر
رمق... الوداع يا أحبائنا وأهلنا، وأصدقاءنا، وأبناءنا، الوداع...
الوداع.



أيها الغزي من أنت؟

أيها الغزي: من أية طينة جُبلت؟

من رمال البحر المغموسة بدماء الشهداء، وملح الجراح، من عجينة القمح الذي صودر عمداً من أفواه أطفالنا، فنسجناه درعا يقينا ظمأ الشهوة للثأر، فكنا الثائرين الناقلين الساخطين، وركبنا جناح المغامرة، ومضينا إلى قدرنا المكتوب الذي كتبناه بأنفسنا، بعرقنا وإقدامنا، ولم ننتظر تزويق الشعراء لنا، أو مبالغة الطامحين في تصويرنا، بل سطرنا كل كلمة يمكن أن تقال عنا بدمنا، ولم ندع مجالاً لكم كي تصفونا فتعجز أقلامكم، لكننا نقول ببساطة: نحن من طينة الحقيقة التي لا تقبل المساومة، بل نحن الحقيقة التي سوف تدرّس في كتب التاريخ عندما يكتبه الأحرار بإصرار العارف خبايانا، والمتطلع على جراحنا ونوايانا، ليزرع وردة في قلب من يقرأنا، وليكن نورا يضيء الطريق

لمستقبل نظيف خال من ظلم المحتل، وغطرسة وطغيان المحتل
الذي يعرف الحقيقة ويحرفها، ولكنه في النهاية سيعترف بنا
ويندحر... إلى ذلك الوقت سنبقى نسطر مجدنا بدمائنا
وأرواحنا، ولن نكل أو نتعاس حتى يشرق الصباح بعد ليلة
ظلماء، سنكون بدرها بإذن الله.



خاتمة

أنهيت كتابي بكائيات غزوة، لكن هل انتهى البكاء؟

هل انتهت الحرب؟

وهل انتهى الكلام؟

للإجابة على هذه الأسئلة سنبقى نغزل حروفنا فرحا ودمعة،
الفرح لنصر نستشفه ونأمل به، ودمعة وفاء للشهداء الذين
بدمائهم سطروا أجمل آيات المقاومة والصمود، دماء أطفالنا لن
تضيع هدرا، نقول هذا ونحن نشعر بالحجل منهم إذ سبقونا
ببذل أرواحهم عنا. لن نكون أقل صمودا منهم، ونعدهم أن
نبذل دماءنا بسخاء علمونا إياه، هم رمز عزيمتنا، وثباتنا على
الحق، نحن شعب طيب بسيط، لا نحب القتال، لكننا جُردنا إليه
لنقاتل بوعينا، وفكرنا، لكن تنقصنا الخبرة والحكمة التي نتعلمها

الآن لنوسع مداركنا، هذا سلاحنا الذي علينا أن نصقله بالعلم،
ونزرعه في وجداننا، وفي عقول أجيالنا القادمة ليكون لنا خير
داعم لقضيتنا، وحقنا المشروع في الدفاع عن أرضنا وعرضنا،
وتاريخنا العريق... لنقرر مصيرنا بأيدينا، وإرادتنا، وعزمنا،
وأخيرا نرسل أجمل التحايا لثوارنا الصامدين الذين يخوضون
المعركة الحاسمة، لنكون لهم داعمين ومؤيدين، وعلى أمل النصر
سنبقى نكتب، ونكتب، ونكتب...



كتب صدرت للكاتبة

*في المسرح:

-شباك الحلوة

-كاهن المعبد

-مقتل شهرزاد

-الشحاذ حاكما

-عازف الناي

-مدينة الرهان

-حكاية توت

-الرباط الأزلي

-وكر الأفاعي

-صدى الروح

-أنين الأرواح

*في القصة:

-مطاردة النبال / مجموعة قصصية

-دموع من رمال / مجموعة قصصية

*في الخواطر: كتاب بعنوان (كلمات دافئة)

*عنوايني الشخصي:

رقم الهاتف: 00962790272679

-الأيمل maysoonhanna897@gmail.com



الفهرس

5	تقديم
11	تنويه
13	عطش
14	وحيدة
15	صمت
16	دموع
17	إفطار غزي
18	براءة
18	أذان
19	وداع
19	كابوس
20	ضبياع
21	روح متشظية
22	جوع
23	خداع
24	صدمة
24	وهم
25	حرقة
25	حلم صغيرة
26	عذاب
26	؟
27	طقس

28	ألم
29	الحج
30	العيد في غزة
36	أحلام العيد
39	النزوح
54	مشهد 1
55	مشهد 2
57	صورة 1
58	صورة 2
59	شهداء
72	الشهيد
74	أيها الغزي من أنت؟
76	خاتمة
79	كتب صدرت للكاتب
80	الفهرس

بعون الله وتوفيقه

تم كتاب

"بكائيات غزة"

====*==*